

الشيعية في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الخامس الهجري

• الدكتور أحمد الحمروني^(١)

مدخل إلى الشيعية

تمهيد:

عندما شرعت منذ أكثر من خمس سنوات في إعداد هذا البحث لم تكن هناك دراسات خاصة قد نشرت عنه^(٢) وكانت طرافته تدفعني إلى مزيد التعمق فيه حتى إذا نما انتصفت بي الطريق فوجئت بصدور كتاب الأستاذ عبد العزيز المجذوب^(٣) فضعف عزمي وكدت أراجع عن قصدي متناسياً ما حملني من الأرق والجهد لولا أنني نظرت في الكتاب فوجدته على أسبقيته عاماً ينقصه التحقيق العميق والنقد الدقيق^(٤) فعدت إلى أوراقِي محلاً ما أجمل متمماً ما أغفل مستفيداً منه رغم بعض المآخذ.

نشوء الشيعية:

طُرحت مشكلة الخلافة^(٥) مرة أخرى إثر مقتل عثمان بن عفان (ت ٣٥ هـ) فكانت منعرجاً سياسياً وفكرياً حاسماً في تاريخ الإسلام إذ ارحت لظهور أغلب الأحزاب

(١) (الحياة) التونسية.
(٢) نستثني أطروحة الدكتور فرحات الدشراوي عن الخلافة الفاطمية بالمغرب التي نوقشت يوم ١٩٧٠/٥/٢٥ بجامعة السوربون بباريس وتوجد منها نسخة مرقونة بالفرنسية بمكتبتها لكننا لم تتمكن من الاطلاع عليها لعدم توفر نسخة منها في تونس.
(٣) عبد العزيز المجذوب: الصراع المذهبي بإفريقيا إلى قيام الدولة الزيرية، تونس ١٩٧٥ (الباب الثالث: الصراع مع الدولة الفاطمية ص ١٦٥ - ٢٢٤).
(٤) انظر تقديمنا للكتاب ونقدنا له بجريدة (الصدى) بتاريخ ١٩٧٥/١٢/٨ ص ٢٠ - ٢١ و ١٩٧٦/١/١٢ ومجلة الحياة الثقافية ع ٦ - مارس/أفريل ١٩٧٦ ص ٨٣ - ٨٥.
(٥) انظر: توماس وآرنولد: الخلافة ترجمة جميل معلي دمشق ١٩٤٦. صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ط ٢ بيروت ١٩٦٨. الخلافة ص ٢٥٦ - ٢٧٦ مخطوط عن خلافة عثمان وعلي حوليات الجامعة التونسية س ١٩٧٤.

السياسية والفرق العقدية في جو من المنازعات العنيفة والحروب المزمنة^(١) بل إن اصول تلك الأحزاب والفرق تعود إلى قضية التحكيم الخادع الذي دبره عبد الرحمن بن عوف بين علي وعثمان لتنصيب ثانيهما في الخلافة^(٢) إن لم نقل إنها تعود إلى تلك العصبية العنصرية والقبلية التي لم تجد سبيلاً إلى البروز أمام صرامة أبي بكر وعدل عمر.

وبعد اغتيال عثمان بايعت المدينة علياً ولكن ولاية الأمصار وفي مقدمتهم معاوية بن أبي سفيان قد عارضوه محافظة على مكاسبهم متذرعين بالثأر لعثمان رافضين سياسة العزل التي سلكها الخليفة علي ضدهم تطهيراً للحكم، فظهر بالبصرة حزب طلحة والزبير الذي ضم إليه عائشة، وكان بالشام حزب معاوية الذي جمع بين الأمويين والعثمانيين، وتمركز بالكوفة حزب علي الذي ألف بين بني هاشم وشيعة أهل البيت، ودارت واقعة الجمل وواقعة صفين^(٣) وقبل علي ومعاوية التحكيم الذي حاكه عمرو بن العاص فانسحب الخوارج مرددين (لا حكم إلا لله) مكفرين معاوية وعلياً الذي حاربهم حتى هزمهم في واقعة النهروان، فدبروا قتله فجر يوم ٢١ رمضان سنة ٤٠ على يد الرحمن بن ملجم الخارجي^(٤) في حين أخطأ عمرو بن بكر فقتل خارجة بن حبيب صاحب شرطة عمرو بن العاص ظاناً أنه هو وبعد أن تمهد الغلب لمعاوية بإخماد علي لشوكة الخوارج المعارضين تم الغلب له بتنازل الحسن بن علي وبذلك قلب الخلافة ملكاً، وفي عهد ابنه يزيد لقي الحسين حتفه في كربلاء على يد عمر بن سعد بن أبي وقاص في سنة ٦١^(٥).

على أن هذه الحروب وهذه الخسائر التي تكبدها الشيعة لم تضعف شوكتهم بل زادت قوة وصلابة، فأנקروا شرعية خلافة معاوية إثر مقتل علي وأعلنوا الطاعة لابنيه بل جدوا في محاربة الخوارج وعملوا على الإطاحة بالعباسيين بعد أن أطاحوا بالأمويين (٥ أ) وفي هذه الغاية الأخيرة يلتقي الشيعة مع الخوارج رغم اختلافهم في الإمامة أي في الكيف (٥ ب) فضلاً عن تولد مذهبيهما عن أصل واحد يردده بعضهم إلى مجرد اصطدام بين شخصين: علي ومعاوية^(٦).

(١) انظر طه حسين: الفتنة الكبرى (عثمان) القاهرة ١٩٦٢. محمد حسنين هيكل: عثمان بن عفان القاهرة ١٩٦٤.
(٢) انظر: طه حسين: الفتنة الكبرى (علي وبنوه) القاهرة ١٩٦٢. عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام بغداد ١٩٤٩.

(٣) E.I.I: siffin T.IV.P 22-425 (Buhl)
(٤) Claude Cahen: L' Islam des origins au debut l' empire ottoman Paris (٤) 1970. P 25 - 27.

فاروق عمر فوزي: حركة المختار الثقفي: سوء تقدير أم مغامرة سياسية - مجلة
Charles Andre Julie Historede l' Afrique du Nord de la (5) conquete arabe (٥)
1830. paris 1961 p. 53 - 54.

الهادي حمو: الخلافة والشيعة (١) مجلة الهداية تونس أكتوبر ١٩٧٥ ص ٩٥ - ١٠٠.
E.F. Gautier: Le Passe de l' Afrique du nord Paris 1964. p320- 321.(٦)

النظرية الشيعية:

يرى أتباع علي وبنيه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لني إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر وأن علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهاذة السنة ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم^(١) ويقسمون تلك النصوص إلى جلية وخفية، فالجلية مثل حديث الغدير: من كنت مولاه فعلي مولاه^(٢)، قوله صلى الله عليه وسلم: (من يعني علي روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي، فلم يبايعه إلا علي)^(٣)، وكذلك قوله (سلموا على علي بأمره أمير المؤمنين)^(٤) والخفية مثل بعث النبي (صلى الله عليه وسلم) علياً لقراءة سورة براءة في الموسم حين أنزلت ولم يعرف أنه قدم أحداً على علي في حين قدم على أبي بكر وعمر وأسامة بن زيد وعمر بن العاص^(٥) وقوله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي)^(٦).

ومن الآيات التي يستندون إليها في قوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)^(٧) يقولون إنها نزلت في الإمام علي حين تصدق بخاتمته على المسكين وهو راكع، وهذه كلها أدلة شاهدة بتعيين علي للخلافة دون غيره، بل يذهبون إلى أن (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)^(٨) ويرون قول الإمام محمد الباقر: (من عبد الله عبادة اهتمام وتعبد ولم يعتقد بإمام عادل منصوب من الله فلا يقبل الله منه سعيًا...) (٩).

(١) ابن خلدون: المقدمة الفصل ٢٧ في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة ط دار البيان بلا تاريخ ص ١٩٦ - ٢٠٢.

(٢) المقدمة ص ١٩٧.

(٣) المقدمة ص ١٩٧.

(٤) الهادي حو: الخلافة والشيعة (١١) مجلة الهداية جانفي ١٩٧٦، ص ٥٠ - ٥٤ (نقلاً عنه).

(٥) المقدمة: ص ١٩٧.

(٦) الاحالة رقم ١٠ ص ٥٢.

(٧) المائدة: ٥٥ - ٥٦.

(٨) الخلافة والشيعة ص ٥١.

(٩) المرجع نفسه ص ٥١.

وعلى هذا الأساس يتفننون في تأويل الآيات ووضع الأحاديث كروايتهم عن سلمان الفارسي أنه قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن ابي طالب والمولاة)^(١) هذا فضلاً عن تفسيرهم المخصوص للتاريخ كزعمهم أن الإمام علياً إنما تأخر عن المبايعة يوم السقيفة قصداً وإباءً وإذا صدرت عنه مبايعة للخلفاء من قبله فذلك تقية^(٢).

فالإمامة إذن هي أهم مبدأ تقوم عليه نظريتهم ويوحد بين فرقهم العديدة (١٧ أ) على أنهم اختلفوا فيمن تؤول إليه وفيمن عنده وفي طريقة اضطلاعهم بها.

فرق الشيعة:

ولما كان من قبيل المستحيل تعداد جميع فرقهم والتعريف بها فإننا أثرنا الاختصار على أشهرها^(٣) فمنهم الإمامية القائلون بوصية النبي لعلي بالإمامة وانتقال هذه إلى من بعده والمتبرثون من الشيخين وسموا الرافضة^(٤) وعنهم تفرعت الإسماعيلية (١٩ أ) والاثنا عشرية^(٥) ومنهم الزيدية الذين لا يتبرؤون من الشيخين مع تفضيلهم لعلي عليهما، لكنهم يجوزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل بإجماع لا بالنص، وهم أبعد الشيعة عن الانحراف والغلو وينسبون إلى زيد بن علي بن الحسين السبط^(٦).

ومنهم الكيسانية نسبة إلى كيسان مولى محمد بن الحنفية الذين يذهبون إلى إمامته وإمامة بنيه ومنهم انبثقت الهاشمية شيعة بني العباس^(٧).

و من الغلاة اتباع المختار بن أبي عبيد القائلون بألوهية الأئمة على مذهب الحلول ومنهم القائلون بالتناسخ^(٨) ومنهم من يقف عند واحد من الأئمة لا يتجاوزه ومنهم الواقفية^(٩) وبذلك قال غلاة الإمامية وخاصة منهم الاثنا عشرية أتباع موسى الكاظم فإنهم

(١) المرجع نفسه ص ٥٢.

(٢) المرجع نفسه ص ٥٢.

(٣) راجع (الملل والنحل) للشهرستاني ومثله لابن حزم، وكتاب (فرق الشيعة) للنوختي ط استنبول ١٩٣١ وكتاب (مباحث في علم الكلام والفلسفة لعلي الشابي تونس ١٩٧٨ ص ٣٧ - ١٣٣).

(٤) المقدمة ص ١٩٧. العبر: المجلد الرابع، الباب السادس عشر لبنان ١٩٥٨.

(٥) المقدمة ص ٢٠١.

(٦) المقدمة: ص ١٩٧ - ١٩٨. العبر المجلد الرابع الباب السادس عشر.

(٧) المقدمة: ص ١٩٨ راجع الصلة بين التصوف والتشيع لكامل مصطفى الشبي ط ٢ مصر ١٩٦٩ ونقد رجب علي مظلومي له في مجلة (الكلية) عن جامعة طهران س ٢ ع ٧ وترجم النقد من الفارسية إلى العربية محمد علي برو في مجلة الفكر الإسلامي جمادى الآخرة ورجب ١٣٩٨ هـ ص ٨٣ - ٩١.

(٨) المقدمة ص ١٩٨.

(٩) المقدمة: ص ١٩٨.

يزعمون أن الثاني عشر من إمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري الملقب بالمهدي المنتظر دخل في سرداب ويخرج منه آخر الزمان فيملاً الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً^(١).

ولقد ردّ أئمة الشيعة وعلمائهم على هؤلاء الغلاة وأبطلوا احتجاجاتهم، أما كتاب الشيعة المحدثون^(٢) فإنهم عنوا بالرد على المستشرقين في اعتبار أن التشيع كان مبعثه نوازع فارسية أو يهودية (٢٧أ) وأنكروا على كثير من المؤلفين^(٣) خلطهم بين معتدلي الشيعة وغلاتهم ومبالغتهم في تكثير فرقهم، حتى قال بعضهم: إن الثلاث والسبعين فرقة التي ذكرت في الحديث أكثرها من الشيعة، وكأنهم لما نقص عليهم العدد اضطروا إلى اختراع فرق لا وجود لها، مع أن المقرئ الذي زعم أن فرق الشيعة بلغت الثلاثمائة لم يستطع أن يعد منها غير عشرين زعم أنها المشهورة..^(٤) وأثبت محسن العاملي أن ست فرق من تلك العشرين مختلفة.

الشيعة الإسماعيلية:

على أننا أردنا أن نفرد الشيعة الإسماعيلية بالحديث المفصل نظراً لعلاقة هذه الفرقة بالتاريخ السياسي والمذهبي لأفريقيا بالتحديد إذ أن العبيدين مؤسسي الدولة الفاطمية بالمغرب والمنتقلين إلى مصر من الإسماعيلية، ويبن ابن خلدون أن هؤلاء قد تفرعوا عن الإمامية الذين ساقوا الإمامة من علي إلى ابنه الحسن بالوصية ثم إلى أخيه الحسين ثم إلى ابنه علي زين العابدين ثم إلى ابنه محمد الباقر ثم إلى ابنه جعفر الصادق، ومن هنا افترقوا فرقتين: فرقة ساقوها إلى ولده إسماعيل ويعرفونه بينهم بالإمام وهم الإسماعيلية وفرقة ساقوها إلى ابنه موسى الكاظم وهم الاثنا عشرية.. ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم وهو أول الأئمة المستورين لأن الإمام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر وتكون دعائه ظاهرين إقامة للحجة على الخلق وإذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته، قالوا: وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق، وبعده ابن محمد الحبيب وهو آخر المستورين

(١) المقدمة: ص ١٩٩.

(٢) أمثال محسن العاملي: أعيان الشيعة.

محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف مع الشيعة الإمامية.

الشيعة والحاكمون في بيروت ١٩٦١ - الشيعة في الميزان.

آية الله السيد حسن الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، العراق ١٩٥١.

(٣) أمثال: ابن حزم والمقرئ وأحمد أمين والعقاد.

(٤) أعيان الشيعة: ج ١ ص ٢٩.

وبعده ابنه عبد الله الذي أظهر دعوته أبو عبد الله الشيعي في كتامة.. ويسمون أيضاً بالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أي المستور ويسمون أيضاً الملحدة لما في ضمن مقالهم من الإلحاد^(١). ثم إنهم يعرفون بالعبيدين نسبة إلى مؤسس الدولة الإمام عبيد الله، وكذلك الفاطميين إثباتاً منهم لانتسابهم إلى فاطمة الزهراء، وإعلاناً عن انتصار الأحفاد من أهل البيت وفوزهم بالإمامة بعد قرون من الكفاح ورغم حملات الحق والإبادة التي استهدفوا لها من قبل بني أمية وبني العباس وأتباعهم^(٢) على أن نسبهم قد يعود إلى فاطمة أخرى هي ابنة الحسين التي روت أحاديث جدتها وتكهنات بالمهدي^(٣) كما يمكن له أن يعود إلى فاطمة الهاشمية بنت أسد وأم علي لعلاقتها عند أهل الحق بحكاية سلمان الذي لعب دوراً هاماً في التاريخ الفاطمي^(٤).

نستنتج إذن من كلام ابن خلدون الذي أوردناه أن الاسماعيلية من الشيعة وسينعكس تطرفهم على نوعية الأحداث بإفريقيا طيلة حكمهم تبعاً لمقومات مذهبهم السياسية والدينية والفلسفية والاجتماعية^(٥).

وقد تفرق هؤلاء عند وفاة الخليفة الفاطمي الثامن المستنصر بالله (ت ٤٨٧) إلى الاسماعيلية الغربية التابعة لابنه الأصغر باليمن ثم بالهند وإلى الاسماعيلية الشرقية التابعة لابنه الأكبر بإيران^(٦) ولا يزالون إلى يومنا هذا يواصلون دعوتهم بواسطة التستر والمهرجانات.

الشك في نسب الفاطميين:

لقد أوردنا رواية ابن خلدون في إثبات نسب الفاطميين وهي تتفق مع روايات أغلب المؤرخين، ومعلوم أنه قد دافع عن صحة نسبهم^(٧) على أن ذلك يمنع من أنه كان محل

(١) المقدمة: ص ٢٠١ العبر المجلد ٤ ص ٦١.

(٢) الصراع المذهبي ص ١٨.

(٣) Louis Massignon Fatima Al Husayn et l' origine nom dynastique Fatimides dans: actes du congres international d'orientalisme Munich 1957 P.368.

(٤) Rncyclopedie de l'Islam nouvelle edition TII art fatimides redige par Georges Mareais P. 870 – 884.

(٥) وكذلك المقارنة:

Habin Feki Les idees reigieuscs et philosphiques de l' Islamailismc fatimide P.U.T. 1978.

(٦) المهدي البوعبدلي: انطباعات عن ملتقى الدراسات العربية والإسلامية بمعهد تكوين الدعاة للجامعة السيفية ببومباي مجلة الأصالة الجزائرية ع ٣٣- ماي ١٩٧٦- ص ٩٥ - ١١٠.

(٧) المقدمة ص ٢١.

شك واختلاف بين النسابة والمؤرخين منذ ظهور محضر بغداد سنة ٤٠٢هـ^(١) ونظراً إلى أن المجال لا يتسع لنقل كل الروايات ومناقشتها فإننا سنكتفي بإثارة المشكلة مقتصرين على أشهر المواقف إذ أنه يعسر البت في هذه المشكلة لتعدد المصادر وتناقضها^(٢) ذلك أن قائمة الأئمة أسلاف عبيد الله ليست هي نفسها في المصادر الاسماعيلية، بل إن اسم والد عبيد الله يختلف فيه، فهو مرة الحسين ومرة أحمد^(٣) وعبيد الله نفسه يرجع نسبه في رسالة إلى الطائفة الاسماعيلية باليمن لا إلى اسماعيل بن جعفر بل إلى ابن آخر لجعفر هو عبد الله هذا إلى جانب أن الفاطميين ظلوا مدة من الزمن لم يعلنوا خلافتها نسبهم رسمياً ولعل ذلك تقية منهم وتسترأ بحيث وضعت أثناءها وتنقلت سلاسل مختلفة الشيء الذي على أصل الفاطميين يكتنفه غموض كبير، ففي حين تقول الرواية الفاطمية التقليدية بأن عبيد الله هو ابن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق تذكر رواية أعداء الفاطميين أنه ابن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح وأنه يسمى في الحقيقة سعيد ولم يتخذ اسم عبيد الله أو عبد الله إلا في بلاد المغرب فقط زاعماً أنه من سلسلة علي، بل إن من أعدائهم المتطرفين أن أباه يهودي على عادة العرب في تحقير من تكرهه^(٤).

كل هذه المعطيات مجموعة إلى الأسباب السياسية والنوازع المذهبية والأغراض الشخصية^(٥) جعلت النسابة والمؤرخين ينقسمون إلى فريقين: أحدهما طاعن في نسب الفاطميين متحامل عليهم وثانيهما مؤيد لصحته مدافع عنهم. فمن المؤرخين الطاعنين في

(١) رشاد الإمام: عبيد الله المهدي ومشكلة النسب الفاطمي، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية ع ٤٠ - ٤٣ س ١٩٧٥ ص ٥٥-٩٦.

وانظر كذلك: حسن إبراهيم حسن وطه شرف: عبيد الله المهدي القاهرة ١٩٤٧.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ط ٣ القاهرة ١٩٦٤ الباب الأول.

M. canard fatmiids Encyclopædia of islam II 1965

W. ivanow: ismaili Tradition Concerning the Risc Of the fatmids London 1942.

B. lewis the Origins of ismailism Cambridge 1940.

P.H Mamour: polemies on the origin of the fatimi caliphs London 1934.

D.S Margoliouth Fatimids encyclopaedia Britannca 2e ed T.X 1910.

J. Walker: Al- mahdi Ubaid Allah encyclopaedia of islam t. III 1936.

Farhat Dachraoui: L' Ifriqiva sous la dynastie des Fatimides dans Histore (٢)

de la tunisie le ,oyen age S.T.D tunis les orgines des fatimides.

الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية لفخر الدين عمر الرازي مخطوط رقم - A2677 - ٦٣٢٧ بمكتبة طوب قاي

بإستانبول فهرس فاضل مهدي ييات في مجلة المورد م ٥ ع ٢ ص ١٩٧٦ ص ٢٥٤.

EI P 871. - EI P 870(٣)

EI P 870(٤)

(٥) رشاد الإمام: المقال السابق ص ٨٤.

صحة نسبهم عريب بن سعد^(١) وابن النديم^(٢) وابن خلكان^(٣) والداعي الخطاب^(٤) والوزير السراج^(٥).

ومن المؤرخين المؤيدين من السنة ابن الأثير^(٦) وابن خلدون^(٧) والمقريري^(٨)، ومن الاسماعيلية القاضي النعمان^(٩)، ومحمد بن محمد اليماني^(١٠) والنيسابوري^(١١) والداعي إدريس عماد الدين^(١٢)، وكل هؤلاء يختلفون في تسلسل الأئمة وترتيبهم كما أثبت قضية الشك هذه حديثاً مع المستشرقين والمؤرخين العرب والغربيين^(١٣)..

ويرى الأستاذ رشاد الإمام: أنه لم يعد هناك مشكلة تدعى مشكلة (النسب الفاطمي) وأن استمرار ظهور المؤلفات الاسماعيلية الأولية إلى الوجود سوف يزيد من قوة هذا الاقتناع وتأكيده وأن عبید الله المهدي ليس بقداحي ولا ديصاني، ولا يهودي ولا ثنوي، وإنما الإمام عبید الله بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(١٤).

انتشار التشيع في العالم الإسلامي:

سبقت الإشارة إلى محاولات الشيعة للإطاحة ببني أمية، فقد آزرُوا بني العباس حتى إذا وصلوا إلى الحكم تنكروا للشيعة وتتبعوهم بالقتل والتشريد فازداد غيظ هؤلاء وقويت معارضتهم وطلبوا بوجوب عودة الإمامة المعتصبة^(١٥) وتحقيقاً لتلك الغاية كانوا يثيرون الدعاة في الآفاق مبشرين في الخفاء بدنو وقت ظهور المهدي المنتظر الذي تحدثت عنه

(١) صلة تاريخ الطبري. القاهرة المطبعة الحسينية بلا تاريخ ص ٢٧.

(٢) الفهرست بيروت ١٩٦٤ ص ١٨٦.

(٣) وفيات الأعيان القاهرة ١٩٤٨ ج ٢ ص ٣٠١ - ٣٠٢.

(٤) إيفانوف الكتاب المذكور القسم ٢ ص ٣٤.

(٥) الحلل السندسية في الأخبار التونسية تح محمد الحبيب الهيلة ج ١ قسم ٤ تونس ١٩٧٠ ص ٨٨٥ - ٨٨٦، ٨٩٠ - ٨٩٢.

(٦) الكامل في التاريخ القاهرة ١٢٩٠ هـ ج ٨ ص ٨ (اعتمدنا هذه الطبعة هنا فقط).

(٧) العبر، بيروت ١٩٥٦ م ص ٣٦ (اعتمدنا هذه الطبعة هنا فقط).

(٨) الخطط القاهرة ١٣٢٤ هـ ج ٢ ص ١٥٨.

(٩) رسالة افتتاح الدعوة: تح وداد القاضي ببيروت ١٩٧٠ ص ١٤٩.

(١٠) إيفانوف: مذكرات في حركة المهدي الفاطمي (مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية) ديسمبر ١٩٣٦ - ص ١٠٧ - ١٠٨.

(١١) المرجع السابق ص ٩٥ - ٩٦.

(١٢) Ivanow Ismaili Tradition pt2. P 65 - 66

(١٣) رشاد الإمام: المقال المذكور ص ٥٥ - ٩٦.

(١٤) المرجع السابق ص ٩٠.

(١٥) حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ط ٤ تونس ١٩٦٨ ص ٩٤.

كتبهم وأشارت إلى إمارات الزمان الذي يخرج فيه وكان هؤلاء الدعاة قبل اضطلاعهم بمهامهم ينتدبون بعد اختبار من بين المتعلمين النجباء الأذكياء في الكتابات ويرسلون إلى مراكز خفية للتكوين والتربص يشرف عليها قدماء الدعاة كابن حوشب باليمن مثلاً. ويذكر ابن خلدون أن محمد الحبيب كان يتزل سلمية من أرض حمص وكان شيعتهم يتعاهدونه بالزيارة إذا زاروا قبر الحسين، فجاءه محمد الفضل من عدن لاعة من اليمن زائراً فبعث معه من أصحابه رستم بن الحسن بن حوشب، ليقم دعوته باليمن (فسار وأظهر الدعوة للمهدي من آل محمد بنعوته المعروفة عندهم واستولى على أكثر اليمن وتسمى بالنصور وابتنى حصناً بجبل لاعة وملك صنعاء من بني يعفر وفرق الدعاة في اليمن واليمامة والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب^(١)).

يقول القاضي النعمان: واستتر للتقية الأئمة المستحفظون وإن لهم بكل جزيرة من جزائر الأرض داعياً وبكل ناحية من نواحيها دليلاً عليهم ولو ذكرنا كل إمام منهم صلوات الله عليهم ومن دعا إليه وقام بأمره لطال الكتاب بذكرهم^(٢) وأرسل الحسين بن حوشب ابن أخيه الهيثم داعياً إلى السند^(٣) وعبد الله بن عباس داعياً إلى مصر^(٤) بل إن التشيع بعد دخوله بلاد المغرب^(٥) قد وصل إلى الأندلس انطلاقاً من إفريقية بفضل دعاة أكفاء أمثال

(١) العبر: الدولة الفاطمية ودول الأندلس لبنان ١٩٥٨ ص ٦٤ افتتاح ص ٤١، ٤٦ - ٤٧.

(٢) افتتاح ص ٣١.

(٣) افتتاح ص ٤٥.

(٤) افتتاح ص ٥٣، راجع عن انتشار التشيع بالشرق العربي محمد كامل حسين: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة ١٩٥٨، عبد الله بن أبيك الدواداري: الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تح صلاح الدين المنجد القاهرة ١٩٦١. ابن عبد المجيد اليماني: بحجة الزمن في تاريخ اليمن، تح مصطفى حجازي القاهرة ١٩٦٥. المقرئ: اتعاظ الخفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء تح جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٦٧.

(٥) راجع عن انتشار التشيع بالمغرب العربي وإفريقيا بالخصوص القاضي النعمان: افتتاح الدعوة (ذكر أعلاه).

ابن خلدون: العبر (الدولة الفاطمية ودول الأندلس) المجلد ٤ الأبواب: ١٦، ١٧، ١٨ لبنان ١٩٥٨.

ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار المغرب تح كولان وبروفنسال ط بيروت ج ١.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ تح عبد الوهاب النجار مصر ١٣٤٨هـ - ١٣٥٣هـ ج ٦ ص ١٢٤ - ١٣٤.

الوزير السراج: الحلل السندسية (ذكر أعلاه) ج ١ قسم ٤ ص ٨٨٥ - ٨٩٦.

ابن أبي الضياف: تحاف أهل الزمان.. تونس ١٩٦٣ ج ١ ص ١٢٠ - ١٣٠.

ابن أبي دينا: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس تح محمد شمام، تونس ١٩٦٧ ص ٥٤ - ٥٧.

الحبيب الجناحي: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي تونس ١٩٦٨ (الدولة الفاطمية في المغرب ص ٨٣ - ٩٣. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية الباب الأول (ذكر أعلاه).

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ١٤٢ - ١٥٥.

Ch. Andre Julien: Histoire de l'Afrique du nord Paris 1950 T. II p. 53-66.
E.F. Gautier: le passé de l'Afrique du Nord Paris 1937. p. 334-355 Farhat
Dachraoui: l'histoire de la Tunisie le Moyen Age L'Afrique sous la dynastie des
fatimides Tunis p. 203-213.

F. Dachraoui: contribution à l'histoire des fatimides en Afrique Arabica I
eyden v II 1961 p. 189-203.

F. Dachraoui: les commencements de la prédication ismaélienne en Afrique
STUDIA ISI AMIEA (Paris) XX: 1964 p. 89-102.

هاني والد متني المغرب والفيلسوف ابن مسرة (ت ٣١٩) والجغرافي ابن حوقل حيث حرضوا العرب وخاصة منهم اليمنيين المهلبين على الثورة في وجه الأمويين^(١).
بيد أن المقام لا يسمح لنا بتفعيل القول في طرق انتشار المذهب الشيعي في بلاد الإسلام بلداً بلداً ومعرفة الظروف السياسية التي استغلها الدعاة لأن ذلك يخرج بنا عن حدود موضوعنا.

ظهور التشيع

التسرب الشيعي مع الحلواني وأبي سفيان:
لم تكن الدعوة العبيدية دعوة طارئة على بلاد المغرب بل كان التشيع قد استطاع أن ينفذ إليها بإحكام عن طريق اثنين من الدعاة توجهوا إليه اقبل أبي عبد الله الداعي الصنعاني مائة وخمس وثلاثين سنة، يسمى أحدهما أبا سفيان ويسمى الآخر الحلواني^(٢) وكان ذلك سنة ١٤٥هـ^(٣) وقد وصل الداعي أبو عبد الله إلى بلد كتامة سنة ٢٨٠ هـ^(٤).
قال القاضي النعمان: قدم إلى المغرب في سنة خمس وأربعين ومائة رجلان من المشرق قيل إن أبا عبد الله جعفر بن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يقصد الإمام جعفر الصادق بعث بهما وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل محمد صلوات الله عليهم وينشرا فضلهم وأمرهما أن يتجاوزا إفريقيا إلى حدود البربر ثم يفترقا فيتزل كل واحد منهما ناحية، فلما صار إلى مرماجنة نزل أحدهما وكان يعرف بأبي سفيان بما بموضع يقال له تالا (أي تالة) فأبنتي مسجداً وتزوج امرأة واشترى أمةً وعبدًا، وكان له من الفضل والعبادة والذكر في الناحية ما قد اشتهر به ذكره، وكان أهل تلك النواحي يأتونه ويأخذونها عنه فمن قبله تشيع من تشيع من أهل مرماجنة (قرب سببية وهي دار شيعة،

Mohamed Yalaoui les relations entre Fatimides d'Ifrigiya ed omewvades (١) d Espagne a irayers le diwan d' Ibn Ham Aetas del II coloquio I lispano Tuncceino de studios Historieos. Madrid 1973 P. 13- 30.

راجع عن تسرب التشيع إلى الأندلس:

Levi proneneal Histoire de espagne musumane paris 1932 p. 85- 88
Mohamed Ali El- mekki: le chiisme en Espagne musulmane revue de Madrid 1954 p.94. farhat daehration Chiite ed Espagne anddalus espagne xxIII 1958. P. 94.

(٢) مقدمة الافتتاح: ص ٧ افتتاح ص ٥٨ الكامل: ج ٨ ص ٣١ ط بيروت ١٩٦٥ (اعتمدنا هذه الطبعة هنا فقط).
Hist de I; afrique du nord t II p 55 من الغريب عدم ورود أخبارهما في كتب التاريخ المغربية المعروفة مات عدا كتاب العبر حيث ينقل ابن خلدون عن الافتتاح ويسمى أبا سفيان بابن بكار (المجلد الرابع ص ٦٥).

(٣) افتتاح: ص ٤٥.

(٤) افتتاح ص ٧١.

وهو كان سبب تشيعهم وكذلك أهل الأربس (شمال حيدرة) ويقال إنه كان أيضاً سبب تشيع أهل نفطة وذلك أن قوماً منهم كانوا يَختلفون بالتمر إلى تلك الناحية ويشترون القمح منها وكانوا يأتونه ويسمعون منه ويأخذون عنه.. وكانت له في الفضل والعبادة أخبار كثيرة، وأما الثاني فكان يعرف بالحلواني وأنه تقدم حتى وصل إلى سوجمال فترل موضعاً منه يقال له الناظور (مكان قرب بجاية) فبنى مسجداً وتزوج امرأة واشترى عبداً وأمة، وكان في العبادة والفضل والعلم علماً في موضعه فاشتهر به ذكره وضرب الناس من القبائل إليه وتشيع منهم على يديه من كتامة ونفزة وسماته وكان يقول لهم: بعثت أنا وأبو سفيان فقيل لنا: اذهباً فإنما تأتيان أرضاً بوراً فاحرثاها وأكرباها وذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذلة فيبذر حبه فيها.

فكان بين دخولها المغرب ودخول صاحب البذر — وهو أبو عبد الله — مائة وخمس وثلاثون سنة^(١) وفعلاً فقد وجد أبو عبد الله الطريق مهيأة بفضل المتشيعين من حجيج كتامة على يد الحلواني كحريث الحميلي وموسى بن مكارمة^(٢) ومسعود بن عيسى بن ملال المساكني وموسى بن تكاد^(٣) الذين اصطحبهم من مكة حتى لقوا بسوجمار من أرض سماته ابا حيون المعروف بأبي المفتش الذي كان لحق الحلواني وأخذ عنه وعن رجاله^(٤) وأبا القاسم الورفجومي وأبا عبد الله الأندلسي وكان هؤلاء شيعة^(٥) وفي باغاية تسمى اليوم Auguste Comte وجد أبو عبد الله بني معاد وكان فيهم تشيع قديم كان منهم اسماعيل بن نصر المعادي ولحق بالحلواني وأخذ عنه أصحابه^(٦).

لعل ذلك التمهيد المبكر قد تناول بواسطة ترويج الأساطير والأشعار (الفهري، ابن عقب، إبراهيم الشيباني، محمد بن رمضان)^(٧) شحن النفوس والأذهان بترقب ظهور المهدي وداعيه وبما يصحبه من علامات كظهور النجم ذي الذنب، فازدادت النفوس إلى صاحب البذر تطلعا وإلى الحدث الجلل تشوقاً^(٨).

(١) افتتاح ص ٥٤ - ٥٨ نلاحظ مبالغة القاضي النعمان في التنويه بعلم الداعين وبامتداد نفوذهما ولم نجد تفسيراً لاتفاقهما في هذا الرمز بناء مسجد والزواج بامرأة واشتراء أمة وعبد وقد نحاول تأويله بفهم جديد للدين وتنظيم جديد للمجتمع دون أن نكتفي بالمعنى السطحي المتمثل في إظهار التقوى والصلح لجلب المريدين وإعداد المكان للدعوة.

(٢) افتتاح ص ٦٣.

(٣) العبر: المجلد ٤ ص ٦٥.

(٤) افتتاح: ص ٥٨.

(٥) افتتاح: ص ٦٨.

(٦) افتتاح ص ١٦٧.

(٧) افتتاح ص ٣٤، ص ٨٤ - ٨٧، ص ٨٩ - ٩٠.

(٨) مقدمة الافتتاح: ص ٨.

تسلل الداعي أبي عبد الله الصنعاني

عندما انتشرت الدعوة الشيعية باليمن سنة ٢٧٠ على يد أبي القاسم الحسن بن فرح بن حوشب النجار^(١) أرسل إليه الإمام محمد الحبيب أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن أحمد محمد بن زكرياء الشيعي المحتسب من أهل صنعاء (وكان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة وكان أكثر علمه الباطن)^(٢)

ويوضح ابن خلدون هذا العلم بأنه كان يعلم مذهب الإمامية^(٣) أما ابن الأثير فقد ركز على المكر والدهاء إلى جانب العلم والفهم^(٤) وفي حين توقف ابن عذارى عند صفتي الجدال والفصاحة إلى جانب الفهم والمعرفة^(٥) وكتب محمد الحبيب إلى ابن حوشب في أن يبصره ويرشده ويلقنه، وقيل لأبي عبد الله: امثل سيرته^(٦) فلما أتى خير وفاة الحلواني وأبي سفيان إلى ابن حوشب قال لأبي عبد الله: إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس غيرك فبادر فإنها موطأة ممهدة لك^(٧) ثم أخرج معه عبد الله بن أبي الملاحف من عدن لاعة باليمن إلى مكة للحج^(٨) حيث اتصل بحجيج كتامة وفيهم من الشيعة الذين تشيعوا بأسباب الحلواني رجلان حريث الجميلي وموسى بن مكارمة^(٩)، ويضيف ابن خلدون: وكان منهم موسى بن حريث كبير بني سكتان من جملة أحد شعوبهم وأبو القاسم الورفجومي من أحلافهم، ومسعود بن عيسى بن ملال المساكني وموسى بن تكاد^(١٠) فسمعهم يتحدثون بفضائل أهل البيت فأظهر استحسان ذلك وحدثهم لما لم يعلموه^(١١) فاستمالهم بحسن حديثه: وازدادوا فيه رغبة وعليه إقبالا فجعل

(١) افتتاح: ص ٤٤.

(٢) افتتاح ص ٥٩.

(٣) العبر: المجلد ٤ ص ٦٤ ويضيف فاتصل أبو عبد الله محمد الحبيب ورأى ما فيه من الأهلية فأرسله إلى ابن حوشب باليمن ليأخذ عنه ثم يذهب إلى المغرب.

(٤) الكامل في التاريخ الأجزاء ١ - ٧ تح، عبد الوهاب النجار، الجزآن ٨ - ٩ تح نخبة من الأساتذة مصر ١٣٤٨هـ - ١٣٥٣هـ ج ٦ ص ١٢٧،

(٥) البيان: ج ١ ص ١٢٤.

(٦) افتتاح: ص ٥٩.

(٧) الكامل: ج ٦ ص ١٢٧ في البيان ج ١ ص ١٢٤ وجمعوا له مالا يتقوى به على سفره وفي الحلل ج ١ ق ٤ ص ٥٨٣ وأرسل معه جملة المال.

(٨) افتتاح ص ٦٠.

(٩) افتتاح: ص ٦٣.

(١٠) العبر المجلد ص ٦٥ في البيان ج ١ ص ١٢٤ كانوا نحو عشرة رجال من قبيلة ملتفين على شيخ منهم.

(١١) الكامل: ج ٦ ص ١٢٧، وفي المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ابن أبي دينا، تح محمد شام تونس ١٩٦٧ ص ٥٤ وكان عندهم طرف من ذكر آل البيت.

يسألهم عن بلدهم فيخبرونه^(١) ثم رحلوا إلى مصر وجعلوا يمشون حوله إذا سار ويتزلون بقربه إذا نزل ويخدمونه ويعظمونه^(٢) ويدعونه السيد^(٣) فبين من أجوبتهم أن ليست لهم طاعة للسلطان وأنه بعيد عنهم وأنهم يحتكمون إلى كبارهم ويستفتون معلمهم وأنهم قبائل يجمع بينها اسم كتامة قد تتحارب ثم تتصالح وأن عندهم الخيل والسلاح^(٤) وكان بدهائه يتصنع التمنع تشويقاً لهم ترغيباً واستمالة لقلوبهم فعرضوا عليه تعليم شيوخهم وجمعوا له دنانير فامتنع بتلطف وشكر فعظم في أعينهم^(٥) وسلكوا طريق الصحراء^(٦) ومروا بطرابلس وقسطنطينية دون دخول القيروان^(٧) حتى إذا نزلوا بسوجمار^(٨) لقيهم رجال من الشيعة^(٩) منهم محمد بن حمدون الذي كان قد أدرك الحلواني وأخذ عنه^(١٠) ولقي حريثاً وموسى: أبو المفتش وأبو القاسم الورفجومي وأبو عبد الله الأندلسي وكان هؤلاء شيعة^(١١) فقال له أبو المفتش: والله إني لأظنك صاحب البذر الذي يذكره الحلواني^(١٢) فأخذ عليهم العهد بالصمد والكتمان ثم ارتحلوا فدخلوا حد بلد كتامة يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين (٢٨٠هـ)^(١٣) ونزلوا بإيكجان عند بني سكتان وكان عبيد الله يقول لهم: هذا فج الأخيار وما سمي إلا بكم ولقد جاء في الآثار

(١) افتتاح ص ٦٣ - ٦٤ في البيان ج ١ ص ١٢٥ لم يزل يستدرجهم ويخليهم بما أوتي من فضل اللسان والعلم والجلد إلى أن سلبهم عقولهم بسحر بيانه، حتى رغبوا منه أن يسير إلى بلادهم ليعمل صبيانهم في العير: المجلد ٤ ص ٦٥ ورأوا ما هو عليه من العبادة والزهد فعلق يقلوبهم وصار يتعهدهم في رحالهم فاغبتوا به واغبت به ولما أرادوا الرحلة إلى بلادهم سألوهم الصلبة فوافقهم طأويا وجه مذهبه عنهم بعد أن سألهم عن قومهم وعصابتهم وبلادهم ومملكة السلطان فيهم، فكشفوا له علم ذلك وأنهم إنما لا يعطون للسلطان طاعة معروفة فاستيقن تمام أمره فيهم وفي المؤمنين: ص ٥٤ وفي أثناء ذلك يسألهم عن خبر بلادهم وعشائريهم إلى أن أحاط بها خبره وفي الافتتاح ص ٦٦ وكل ذلك يسألهم ويجريه حديثاً لغير غلة وهو يعي ذلك عنهم يستخير ما يريد منهم لما يرجوه ويؤمله فيهم وهو مغتبط بكل ما يسمعه من ذلك ويرى أن الأمر ينتهي فيهم.

(٢) افتتاح: ص ٦٣ - ٦٤.

(٣) افتتاح ص ٦١.

(٤) افتتاح ص ٦٤ - ٦٦.

(٥) افتتاح: ص ٦٧.

(٦) العير: المجلد ٤ ص ٦٥.

(٧) افتتاح: ص ٦٨ العير: المجلد ٤ ص ٦٥.

(٨) افتتاح ص ٦٨ أصاب هذا المكان تحريق في العير فهو سوماته المجلد ٤ ص ٦٥.

(٩) الكامل: ص ٩ ص ١٢٧.

(١٠) العير: المجلد ٤ ص ٦٥.

(١١) افتتاح ص ٦٨.

(١٢) افتتاح ص ٦٩.

(١٣) افتتاح ص ٧١ الكامل: ج ٦ ص ١٢٧ العير: المجلد ٤ ص ٦٥ المؤمنين: ص ٥٤ الخلل: ج ١ ق ١ ص ٨٩٤.

Hist. de la tunisie le moyn age p 208 hist de l' afrique du nord t ii p 55.

Ei: fatimides t ii p 872.

أن المهدي هجره تنبو عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان قوم مشتق اسمهم من الكتمان فإنهم كتامة^(١) فاقبل الناس إليه من كل ناحية وتسامعوا به فكان يجلس لهم ويحدثهم بظاهر فضائل علي بن أبي طالب صوات الله عليه وعلى الأئمة من ولده عليهم السلام فغدا رأى الواحد منهم بعد الواحد قد لقن عنه وأحسن فيه ما يريد ألقى إليه شيئاً بعد شيء حتى يجيبه فيأخذ عليه^(٢) وأتاه هارون بن يونس بن موسى شيخ المشائخ من مسالنتة والحسن بن هارون من غشمان تارزروت وأبو يوسف ماكنون وابن أخيه تمام بن معارك من إجانة^(٣) وعرف أبو عبد الله بالصنعاني^(٤) وشهر بالمشرق وأتباعه بالمشاركة^(٥) وسماهم أخوانا وأظهر لهم الصلاح والتقوى^(٦) وجاهرهم بمذهبه قائلاً: أنا صاحب البذر ذكر لكم أبو سفيان والحلواني فازدادت محبتهم له وتعظيمهم لأمره ثم تفرقت كلمة البربر وكتامة بسببه فأراد بعضهم قتله فاختمى ووقع بينهم قتال شديد فحماه الحسين بن هارون^(٧) واجتمع العلماء على مناظرته وقتله فمنعهم الكتاميون^(٨) واهمه بعض الناس بالكفر والرياء حتى طلبه صاحب ميلة موسى بن عياش فحموه^(٩).

انتصارات أبي عبد الله ومقاومة الأغالبة له

واتصل خبر أبي عبد الله بإبراهيم بن أحمد بن الأغلب أمير افريقيا (٢٣٧ - ٢٨٩هـ) فكتب إلى موسى يسأله عن أمره فضعف منه خوفاً من عزله لكنه فطن به^(١٠) فأرسل إبراهيم إلى أبي عبد الله كتاب تهديد ووعيد مع ابن المعتصم فأساء الرد عليه^(١١) واجتمع رؤساء القبائل وخافوا على زوال رياستهم من أيديهم، وتعاهدوا على الكيد بأبي عبد الله وكان منهم موسى بن عياش صاحب ميلة وعلي بن عسلوكة صاحب

- (١) افتتاح: ص ٧٢ - ٧٣ الكامل: ج ٦ ص ١٢٧ العبر: المجلد ٤ ص ٦٥ أصابه تحريف مثل ما في الكامل فهو أنجان، قد تكون هذه القولة من وضع المؤرخين بعد نجاح الدعوة إذ يستبعد أن يجاهر الداعي منذ البداية بتنبيهه بانتصاره.
- (٢) افتتاح: ص ٧٣ الكامل ج ٦ ص ١٢٧ العبر: المجلد ٤ ص ٦٦ المؤنس ص ٥٤.
- (٣) افتتاح: ص ٧٣ - ٧٤.
- (٤) افتتاح: ص ٦١.
- (٥) افتتاح: ص ٧٦، ٩٣ العبر: المجلد ٤ ص ٦٦ المؤنس: ص ٥٤ الكامل: ج ٦ ص ١٢٧.
- (٦) افتتاح: ص ٧٦، ٩٣، ١٢٦.
- (٧) الكامل: ج ٦ ص ١٢٧ - ١٢٨ العبر: المجلد ٤ ص ٦٦ البيان ج ١ ص ١٢٦.
- (٨) الكامل: ج ٦ ص ١٢٧.
- (٩) افتتاح: ص ٧٧ في العبر المجلد ٤ ص ٦٦ المسيلة.
- (١٠) افتتاح: ص ٧٨ في العبر المجلد ٤ ص ٦٦ خاف رؤساء كتامة عادية ابن الأغلب وأغراهم عمال بلادهم بالشيعي مثل موسى بن عياش صاحب مسيلة وعلي بن حفص بن عسلوكة صاحب سطيف، الكامل: ج ٦ ص ١٢٧.
- (١١) افتتاح: ص ٧٨ - ٨١.

سطيف وحي بن تميم صاحب بلزمة^(١) وعلم إبراهيم بن الإلب أنه صاحب قطع دولته.. فكان إذا ذكر له في الملاء أظهر التهاون بأمره.. وقد كان يميل إلى التشيع وكثير من أهل بيته^(٢) ولما صار أبو عبد الله إلى رقادة^(٣) استقام إبراهيم وأظهر التوبة والنسك وخرج في جيشه إلى صقلية في رجب سنة ٢٨٩ هـ وافتتح طبرمين ومات محاصراً ولكنه حينئذ خشي صولة بني الأغلب على سلطانهم واجتمعوا على الغدر بأبي عبد الله بقيادة بيان بن صقلان ففشلوا^(٤) وانتقل مع بعض المهاجرين إلى تازروت عند الحسن بن هارون الغشمي^(٥) فغار منه أخوه محمود وأراد الفتك بأبي عبد الله بتحريض من مهدي بن أبي كناوة اللهيصي^(٦) فكشف المؤامرة ومات محمود في الحرب وقتل مهدي إثر طعنة من أخيه أبي مدين ولاوة بن صوحان فأقبلت لهيصة إلى الدعوة^(٧) وولى أبو عبد الله الحسين بن هارون على حروبه^(٨) وظهر من الاستتار^(٩) وزحفت جميع القبائل على أبي عبد الله بوادي تافرت فهزمها^(١٠) وابتنى بتازروت^(١١) قصراً وأقطع الأولياء دوراً حوله وحاربه الفتح بن يحيى وهارون بن يونس في قلعة نوبو فهزمها وانقادت إليه عجيشة وزواوة بعد حروب دامت سنتين استولت أمور أبي عبد الله على عامة بلد كتامة وظهرت دعائه في كل ناحية منها^(١٢). م افتتح ميلة^(١٣) بعد أن استولى على تاهرت^(١٤) فخرج إليه أبو

(١) افتتاح ص ٩٣-٩٤ ويضيف القاضي العمان ص ٩٤-٩٥ ومن مقدمتي قبائل كتامة وكبارهم وولاة أمورهم فتح بن يحيى المسالي يقال له الأمير ومهدي بن أبي كناوة رئيس لهيصة وفرح بن جبران رئيس إجانة وأبو تميم فحل بن نوح رئيس لطاية وزيادة المتوسي رئيس متوسة وهؤلاء مع رياستهم وتقدمهم أبطال كل واحد منهم يعدل كتيبة فأداروا الخيل واستعملوا الآراء في أخذ أبي عبد الله.

(٢) افتتاح ص ٨١ في الحلل ج ١ ق ٤ ص ٨٩٤، فاستصغر أمر أبي عبد الله واستحقره المؤنس: ص ٥٤.

(٣) افتتاح ص ٨٧.

(٤) افتتاح ص ٩٢-٩٧ العبر: المجلد ٤ ص ٦٦.

(٥) افتتاح ص ١٠٠ الكامل ج ٦ ص ١٢٧-١٢٨ في العبر المجلد ٤ ص ٦٧ الغساني نسبة إلى قبلية غسان ويقابلها في الافتتاح ص ٧٤ (انظر فهرس القبائل) غشمان: قوم من كتامة.

(٦) افتتاح ص ١٠٢-١٠٣ ورد اسمه باشكال مختلفة في نسخ الافتتاح ص ٩٤ إحالة ٢ وهو في العبر المجلد ٤ ص ٦٧ مهدي بن أبي كمارة.

(٧) افتتاح ص ١٠٢-١٠٨ العبر: المجلد ٤ ص ٦٧.

(٨) افتتاح ص ١٠٦ الكامل ج ٦ ص ١٢٨ العبر: المجلد ٤ ص ٦٧.

(٩) افتتاح ص ١٠٦ الكامل ج ٦ ص ١٢٨ العبر المجلد ص ٦٧.

(١٠) افتتاح: ص ١٠٩-١١٧.

(١١) ورد هذا الاسم باشكال مختلفة في نسخ الافتتاح وفي المصادر ص ٧٤ إحالة ٣ وحافظ على شكله في العبر: المجلد ٤ ص ٦٧ تازروت وورد في الكامل ج ٦ ص ١٢٨ ناصرون.

(١٢) افتتاح ص ١١٨-١٢٢ الكامل: ج ٦ ص ١٢٨ العبر: المجلد ٤ ص ٦٨ البيان ج ١ ص ١٢٨.

(١٣) افتتاح ص ١٣٤-١٣٥ الكامل ج ٦ ص ١٢٨ في العبر المجلد ٤ ص ٦٨ مسيلة البيان ج ١ ص ١٣٨.

(١٤) في المؤنس ص ٥٥ ثم مضى أبو عبد الله إلى تيهرت فملكها وأتته وفود البربر من كل فج.

وفي الحلل: ج ١ ق ٤ ص ٨٩٤ ثم مضى أبو عبد الله إلى مدينة تاهرت فمعظم شأنه وأتته القبائل من كل مكان ولاشك أنهما ينقلان عن مصدر واحد غير الافتتاح حيث لا نجد ذكراً لامتلاكها.

حوال محمد بن عبد الله بن إبراهيم في اثني عشر ألف رجل مع بعض الكتاميين من تونس في ذي القعدة سنة ٢٨٩هـ وانظمت إليه قبائل بني عسلوكة وبني تميم وقتل أهل مجرس وهزم أبا عبد الله بمملوسة مرتين وأحرق تازروت ثم دارت الدائرة على أبي حوال بكجاردة فرجع إلى تونس^(١) وأقام أبو عبد الله مع أتباعه بأيكجان وفرق الدعاة وكان يتتبع أخبار البلاد الأغلبية حتى جاءه نعي إبراهيم الثاني وانتقال الأمر إلى ابنه أبي العباس عبد الله (٢٨٩ - ٢٩٠هـ) فصلح وعدل وتواضع للناس، فلم يزل أبو عبد الله مغتتماً لذلك حتى جاءه الخبر بانقلاب زيادة الله على أبيه وارتكابه المحارم وعكوفه على الملاهي وشرب الخمر إلى أن حبسه جده إبراهيم فاستبشر وطمأن أصحابه^(٢) وعاد إليه أبو حوال ثانية فأنزله في مملوسة وانصرف إلى سطيف ومنها قفل راجعاً إلى تونس متعللاً بدعوة زيادة الله له ليقوى به أمره فقبض عليه صالح بن الروحاني في باغية وأتى به زيادة الله فقتله واخوته وعمومته في رمضان سنة ٢٩٠هـ وكان في ذلك وهن لهم وتضعيف لأمرهم^(٣).

ويضيف ابن الأثير: وكان كل من عند زيادة الله من الوزراء شيعة فلا يسوءهم أن يظفر أبو عبد الله لاسيما مع ما كان يذكر لهم من الكرامات التي للمهدي من إحياء الموتى ورد الشمس من مغربها وملكه الأرض بأسرها وأبو عبد الله يرسل إليهم ويسحرهم ويعدهم^(٤) وهذه الدسائس والاستعلامات تنخر البلاط الأغلي وتكشفت أسرار له لدى أبي عبد الله دون أن يعلم بها زيادة الله وقد أحسن الداعي استغلالها. وفي سنة ٢٩٣هـ أخرج زيادة الله إلى الأربس مدجج بن زكرياء صحبة أحمد بن مسرور الخال على رأس جيش لمحاربة أبي عبد الله، فخالفا عليه يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الآخرة ووافياً لثلاث عشرة ليلة خلت منه مدينة القيروان بالجيش فخرج إليهما الغوغاء منها ودفعوها وكبا بمدجج فرسه فقتل من ساعته وصلب مع ابنه بربر على باب رقادة وقد كان زيادة الله قصد إلى قتال مدجج عندما أتاه الخبر بقتل العامة له فكتب

(١) افتتاح ص ١٣٦ - ١٣٩ الكامل: ج ٦ ص ١٢٨ العبر: المجلد ٤ ص ٦٨ - ٦٩ البيان: ج ١ ص ١٣٨ وفي الحلل ج ١ ق ٤ ص ٨٩٤ الأحوال كما في الكامل.

(٢) افتتاح ص ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ الكامل: ج ٦ ص ١٢٨ العبر المجلد ٤ ص ٦٩.

(٣) افتتاح: ص ١٤٢ - ١٤٦. العبر: المجلد ٤ ص ٦٩. الحلل: ج ١ ق ٤ ص ٨٩٤. الكامل: ج ٦ ص ١٢٣ وفي ١٢٨ فلما قتل إلى الأحوال انتشرت حينئذ جيوش أبي عبد الله في البلاد وصار أبو عبد الله يقول: المهدي يخرج في هذه الأيام وملك الأرض فيا طوبى لمن هاجر إلي وأطاعني ويغري الناس بأي مضر (أي زيادة الله) ويعيبه.

(٤) الكامل: ج ٦ ص ١٢٨.

بذلك كتاباً قرأ بالقيروان وأعمالها^(١) وفي نفس السنة ورد كتاب الخليفة العباسي المكتفي بالله يحث أهل إفريقية على نصرته زيادة الله فجهز العساكر وأغدق الأموال جزافاً بالصحاف على الفرسان وخرج إلى الأربس^(٢) فوصلها سنة ٢٩٤هـ وأمر عاملها أبا المقارع حسن بن أحمد بن نافذ وشيب بن أبي شداد القمودي وخفاجة العبسي بشن الغارات على كتامة ثم عاد إلى رقادة مستخلفاً إبراهيم بن حبشي في أربعين ألف مقاتل سرعان ما بلغوا المائة لكنهم انهزموا في كبونة ورجع ابن حبشي إلى إفريقية فاضطربت واستهال أهلها أمر أبي عبد الله^(٣) الذي كان قد افتك سطيف من صاحبها علي بن حفص بعد لأي^(٤) ثم افتتح طبنة بالأمان وقرب منها عاملها أبا المقارع وولى مكانه يحيى بن سلمان ثم افتتح بلزمة عنوة^(٥) وبلغ زيادة الله أن أهل دار ملول قد أطاعوا أبا عبد الله فأرسل إليهم جيشاً يقوده هارون ابن الطيني أقام بباغية فقتله غزوية قائد أبي عبد الله، ثم افتتح قائده يوسف ابن سلكة مدينة تيجس صلحاً تاركاً سبيل العودة لرابعة زيادة الله المتركة من خمسمائة فارس ودخل رئيسها ابن ركاب الدعوة مع جماعة من وجوهها فكانت من ذلك عن أبي عبد الله وأصحابه عند العامة بإفريقية أخبار صالحة^(٦).

وخشي زيادة الله ثورة الأهالي فكتب كتاباً أرسل منه نسخة إلى كل ناحية لتقرأ على المنابر وكفر فيه أبا عبد الله وشنع بأخلاقه وأعماله داعياً إليهم إلى جهاده فما زادهم ذلك إلا استخفافاً بأمره لذيوع فساده^(٧) وإطلاعهم على خصال الداعي وصلاحه فاستعمل رسولاً أظهر أنه قدم من بغداد بسلاح وكتاب قرأه على المنابر فتناقلوه عن القتال^(٨) لكن زيادة الله عزم على الخروج إلى الأربس ففرق الأموال علي الجند وخرج أول سنة ٢٩٥هـ وسرعان ما تراجع عائداً إلى رقادة في أهل بيته مقدماً إبراهيم باغية ومجانة وقلمة ومسكيانه وتبسة ومدبرة ومرجنة صلحاً وأورة عنوة واحتل إبراهيم بن أبي

(١) افتتاح: ص ١٨٤: ج ٥. البيان ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٠. الانحاف: ج ١ ص ١١٧.

(٢) البيان: ج ١ ص ١٤٠. انظر نص الكتاب بالافتتاح ص ١٧٤ - ١٧٧.

(٣) افتتاح: ص ١٥٦ - ١٦٠. البيان: ج ١ ص ١٤٠ - ١٤٢. الكامل: ج ٦ ص ١٣٠. في العبر: المجلد ٤ ص ٧٢: إبراهيم بن حبشي ولعله خطا تسرع في قراءة المخطوطة بلا تحقيق.

(٤) افتتاح: ص ١٥٤ - ١٥٦.

(٥) افتتاح: ص ١٦٠ - ١٦٣. الكامل: ج ٦ ص ١٣٠. البيان: ج ١ ص ١٤١.

(٦) افتتاح: ص ١٦٧ - ١٧٠. الكامل: ج ٦ ص ١٣٠. في العبر: المجلد ٤ ص ٧٢: انهزم هارون الطيني أما عروبة بن يوسف الشيعي.

(٧) افتتاح: ص ١٨٣ - ١٨٥ (نموذج من سوء تدبيره ومنادته لابن الشثيم) البيان ج ١ ص ١٤٢.

(٨) افتتاح: ص ١٧٠ - ١٧٨ (انظر نص الرسالتين ولاحظ بأكثر وضوح تحيز القاضي النعمان في كتابة تاريخ الدولة الفاطمية التي ارتبط بها بصلاة كقضاء الجماعة).

الأغلب تيفاش^(١) وبعد أن احتل أبو عبد الله القصرين وقمودة متوجهاً إلى رقادة خرج ابن أبي الأغلب من الأربس إلى القيروان فاعترضه الداعي بدار مدين وهزمه في أول جمادى الأولى سنة ٢٩٦هـ وقتل الخارجين عن طاعته كبنى ماجن، ثم افتتح قسطنطينية وقفصة والأربس واتجه نحو دقة^(٢) فخشي زيادة الله على نفسه إن هو بقي في رقادة فهرب ليلاً في أهل بيته وخدمه حاملين ما تبقى من الأموال والأمتعة والأسلحة إلى طرابلس ثم إلى مصر فإلى الرقة ليعود إلى مصر وينصرف إلى بيت المقدس حيث مات ودفن، وفارقه ابن الصانع إلى صقلية فصرفته الرياح إلى طرابلس تاركاً أمواله عند ابن الهندي عامل سوسة فصارت إلى عبد الله عندما أخذ رقادة بعد أن خلت بهروب أهلها إلى القصر القديم والقيروان وسوسة وخربها أهل القيروان ونهبوا قصور بني الأغلب ستة أيام نقمة عليهم^(٣) وعند تقاعسهم عن مساعدة إبراهيم بن أبي الأغلب عند رجوعه إليها منهزماً لحق بزيادة الله^(٤) فوجد أبو عبد الله المجال فسيحاً لدخول رقادة يوم السبت غرة رجل سنة ٢٩٦هـ فابتهج الناس بذلك وسروا به، وخرج شيوخ أهل القيروان وفقهاؤهم لتلقي أبي عبد الله فلقوه وسلموا عليه وهنأوه بالفتح^(٥) وبعد إجراء بعض الترتيب لوضع حجر الأساس للدولة الفاطمية استخلف على إفريقية أخاه أبا العباس وأبا زكي تكام بن معارك وقصد سجلماسة في رمضان سنة ٢٩٦هـ ليخرج المهدي وابنه القائم من سجن أليسع وقد كانا بشرهما من قبل بفتوحاته واستقدمهما من المشرق إلى المغرب متمستين^(٦).

(١) افتتاح: ص ١٨١-١٩١. في الكامل: ج ٦ ص ١٣١: انهزم إبراهيم بن أبي الأغلب في باغاية وافتتح أبو عبد الله تيفاش.

(٢) افتتاح: ص ١٩١-٢٠٥. الكامل ج ٦ ص ١٣١-١٣٢. الاتحاف: ج ١ ص ١١٨. البيان: ج ١ ص ١٤٤-١٤٦. مما يلفت الانتباه أن الدعوة الشيعية لم تتسرب إلى بلاد المغرب ولم تدخل إفريقيا إلا انطلاقاً من الجنوب التونسي (قسطنطينية) وقد يفسر ذلك بكثرة المتشيعين القدامى على يدي الحلواني وأبي سفيان وباستقلال الجهة عن السلطة المركزية لبعدها عن القيروان ولعدم اهتمام الأمراء الأغلبية بها مما جعل الأهالي الخرومين يشاركون في كل ثورة غايتها الإطاحة بالأغلبية وتحقيق آمالهم ولكن قد لا يحصل شيء منها فيثورون ضد الذي كانوا ساندوه من قبل فيعدوا ساعدوا الدولة العبيدية على إرساء قواعدها وتبين لهم فسادها عملوا على سقوطها بمشاركتهم في ثورة صاحب الحمار التي انطلقت من توزر قبيل سنة ٣٣٣هـ. ولا تغفل كذلك عن أهمية المنطقة الاستراتيجية والاقتصادية إذ كانت طريق الذهب والعبيد وهمة وصل تجارية وربما فكرية مذهبية بين المشرق والمغرب وبلاد السودان.

(٣) افتتاح: ص ٢٠٥-٢٠٩، ٢٠٩-٢٢٢. الكامل: ج ٦ ص ١٣٢. البيان: ج ١ ص ١٤٦-١٤٧.

(٤) افتتاح: ص ٢٠٩-٢١١، ٢٢٣. البيان ج ١ ص ١٤٨.

(٥) افتتاح: ص ٢١٢-٢١٣. الكامل: ج ٦ ص ١٣٢. في البيان ج ١ ص ١٤٩-١٤٩ إشارة إلى معارضة محبوب بن عبد ربه الهواري للفقهاء والشيوخ والتجار الخارجين لاستقبال أبي عبد الله فكاتبوه على أن يلتقوا به في ساقية ممس يوم السبت ليسلموا عليه ويسالوه الأمان والعدل والإحسان.

(٦) افتتاح: ص ٢٣٥-٢٣٦. الكامل: ج ٦ ص ١٣٣. الحلل: ج ١ ق ٤ ص ٨٩٥. المؤنس: ص ٥٥. القيروان عبر عصور: ص ٨٦. الاتحاف: ج ١ ص ١١٩. العبر: المجلد ٤ ص ٧٠.

انتقال المهدي إلى المغرب ودخوله القيروان:

بعد أن صارت الإمامة إلى عبد الله المهدي، خرج مع ابنه أبي القاسم محمد القائم بها من بعده إلى مصر وكره دخول اليمن لأن داعيه فيروز قد أفسد عليه أمره هناك بتأليب علي بن الفضل عليه حتى إذا طلبه بنو العباس فرّ متنكراً مع ابنه وأبي العباس محمد بن أحمد أخيه أبي عبد الله الشيعي، فسرقت له كتب وأموال بالطاحونة^(١) وكتب زيادة الله بن أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب آخر أمراء الأغلبية على افريقيا (٢٩٠هـ - ٢٩٦هـ) إلى عامل طرابلس للقبض عليه ففر إلى قسطنطينية في زي التجار وكانت طريق الذهب والعييد فوافي بها عيدا من حسن الاختيار أو لمحض الصدفة، ولما علم بأن زيادة الله قد اعتقل صاحبه أخا الداعي إن هو قصده فدخل سجلماسة وأقام ضيفاً عند صاحبهما أليسع بن مدرار المقلب بالمتنصر (٢٧٠هـ - ٢٩٧هـ)^(٢) بعدما هاداه على أنه تاجر فكتب زيادة الله إلى أليسع بعلمه أن هذا الرجل هو الذي يدعوه له أبو عبد الله الشيعي ويأمره بسجنه فقبض عليه وحبسه منع ابنه ولما بلغ أبا عبد الله ذلك خشي عليهما وأرسل مائة كتامياً للكيد بأليسع فافتضحوا قرب تاهرت^(٣) فانصرف أبو عبد الله إلى فتوحاته التي توجهها بالقضاء على الدولة الأغلبية ودخول القيروان في طاعته ليعود في رمضان سنة ٢٩٦هـ إلى سجلماسة قوي الشوكة ويطلق سراح الإمام وابنه، وفي طريقه إليها أتاه محمد بن خزر يطلب الأمان لزناته وأوقع بالرستميين بعد حكم دام مائة وخمس وثلاثين (١٦٢هـ - ٢٩٧هـ)

(١) الطاحونة بلدة على الطريق العليا في الصحراء بين الاسكندرية وبرقة على بعد ١٠٢ ميلاً من الاسكندرية. انظر وصف افريقيا للإدريسي من كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تأليف هنري بريس. الجزائر ١٩٥٧ ص ١٠٣.

(٢) افتتاح: ص ١٤٩ - ١٥٤ العبر: المجلد ٤ ص ٦٩ - ٧١ والملاحظ أن ابن خلدون لا يشير إلى مرور المهدي بقسطنطينية في الحل: ج ١ ق ٤ ص ٨٩٤. كانت الدعاة بالمغرب يدعون إلى محمد والد المهدي وكان بسلامية. فلما توفي أوصى إلى ابنه عبيد الله المهدي واطلعه على الدعاة، وشاع ذلك أيام المكتفي فطلب عبيد الله وابنه أبو القاسم محمد الذي ولي بعد المهدي بعد المهدي يتلقب بالقائم وتوجه نحو المغرب، ووصل عبيد الله إلى مصر في زي التجار وكان عامل مصر حينئذ عيسى النوشري وقد كتب إليه الخليفة بتطلب عبيد الله المهدي والتوقيع عليه فجاء المهدي في الهرب، وقدم طرابلس الغرب وزيادة الله بن الأغلب متوقع عليه وقد كتب إلى عماله بإمساكه متى ظفروا به، فهرب من طرابلس ولحق بسجلماسة فأقام بها.

(٣) افتتاح ص ١٢٨ - ١٣٠. الحل: ج ١ ق ٤ ص ٨٩٤.

في تاهرت^(١) واحتال في مخاطبة أليسع حتى لا يمس المهدي والقائم بسوء لكنه أصبر وخرج لمحاربته فانهمز أليسع وفر فدخل أبو عبد الله المدينة واستخرج المهدي وابنه فكانت في الناس مسرة عظيمة.

ثم أمر المهدي بطلب أليسع وقتله، وبعد إقامة بسجلماسة دامت أربعين يوماً - لعلها ترمز لبلوغ سن الرسالة - عاد إلى إفريقية منصّباً عليها عاملاً في محل أليسع، لكن حكم بني مدرار قد استمر في سجلماسة متأرجحاً بين الولاء والعداء للفاطميين على عكس ما يعتقد بعض المؤرخين^(٢) وقبل وصول الركب أرسل أبو عبد الله إلى أهل إفريقية كتاباً ذكر فيه ما حدث بينه وبين أليسع وبشّرهم بظهور المهدي مكذباً ما راج في غيابه من الأشانيع والأراجيف مشوقاً إياهم إلى انتظار قدومه^(٣) وأردفه بكتاب ثانٍ ضبط فيه وصول المهدي بيوم الخميس ٢٠ ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ فكان كذلك وتلقاه أهل القيروان باحتفالهم.. فسلم عليه شيوخ أهل القيروان بالخلافة والإمامة وهناؤه بالفتح والسلامة^(٤).

(١) الافتتاح لا يذكر التاريخ: ص ٢٣١ - ٢٣٧ في البيان: ج ١ ص ١٥٣ كان لها أي دولة بني رستم مائة وثلاثون سنة ثم ولي أبو عبد الله على تاهرت ابا حميد دواس بن صولات اللهيضي وإبراهيم بن محمد اليماني المعروف بالهوارى وفي الحلل: ج ١ ق ٤ ص ٨٩٥: وزال ملك بني رستم من تاهرت وكانت مدة ملكهم مائة سنة وستين وكذلك في الكامل: ج ٦ ص ١٣٣. وفي العبر: المجلد ٤ ص ٧٣ - ٧٥. ويرجع اختلاف المؤرخين حول مدة حكم الرستميين إلى اختلافهم في تحديد بداية حكم عبد الرحمن بن رستم أمّتهم وجاء إحدى مراثيهم:

مدارج عز الملك فيها وابدعوا
يحفهم من كان بالقصب يقطع

وداموا بها خمسين عاماً ومائة
والواقع أن عبد الرحمن بن رستم قد بايعوه مرتين إثر موت أبي الخطاب سنة ١٤٤هـ وهي سرية والثانية بعد تأسيس تاهرت سنة ١٦٢هـ وهي إمارة الظاهر الرسمية لذلك اعتبرنا الثانية ونص ابن عذاري يؤيدنا. انظر عن مدينة تاهرت: الحبيب الجنحاني: تاهرت عاصمة الدولة الرسمية، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية ع ٤٠ - ٤٣، ص ٧ - ٥٤ وكذلك: Ibn Saghir Les Imams Rostcmioies de Tahert in Actes du XIVE Congress international des Orientalistes 3e partie suite Alger 1905. وانظر عن علاقة خوارج المغرب بالفاطميين أطروحة الدكتور: محمود اسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري: الدار البيضاء (المغرب) ط ١: ١٩٧٦.

(٢) منهم أصحاب الكامل: ج ٦ ص ١٣٣ والحلل: ج ١ ق ٤ ص ٨٩٥ والمؤنس ص ٥٥، أما صاحب الافتتاح: ص ٢٣٨ - ٢٤١ فيكتفي بعبارة (افتتاح سجلماسة ولعله يعتقد سقوط دولتها ضمنياً في حين يؤيدنا صاحب البيان فيما ذهبنا إليه إذ يقول: ج ١ ص ١٥٣ ما خلاصته أن عبيد الله ولي على سجلماسة إبراهيم بن غالب المزاري وقد انقلب عليه أهلها في السنة نفسها وقتلوه ومن معه من الشيعة والكتاميين وولوا على أنفسهم وأصول ابن الأمير مدرار، وتلج جميع المصادر على شدة تأثير الداعي بلقاء المهدي إذ كان يعيش بين يديه ويكي من شدة الفرح ويقول: هذا مولاي ومولاكم أيها المؤمنون. وفي العبر: المجلد ٤ ص ٧٥ يؤكد ابن خلدون على أهمية المال كعامل اقتصادي في إنجاح الدعوة وكإرساء أسس الدولة الفاطمية الفتية قائلاً: ومروا بأيكحان فسلم الشيعة ما كان بها من الأموال للمهدي وفي هذا تأكيد على أمانته الداعي.

(٣) افتتاح: ص ٢٤١ - ٢٤٥.

(٤) افتتاح: ص ٢٤٥ - ٢٤٩. الكامل: ج ٦ ص ١٣٣. البيان: ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧. المؤنس: ص ٥٥. الاتحاف: ج ١ ص ١١٩. العبر: المجلد ٤ ص ٧٥.

مقتل الداعي:

عندما دخل المهدي القيروان وقد سلمه الداعي أبو عبد الله مقاليد الدولة الجديدة خشي أخوه أبو العباس محمد بن أحمد أن يتقلص نفوذ الداعي خاصة بعد الترتيب الأولى التي أجراها المهدي فتغير عنه وأخذ يزري عليه في سجل مأساة ولدى أخيه الداعي قائلاً له: ملكت أمراً وانطاع لك فجئت بمن أزالك عنه وأخرجك منه وتنقصك واضطهدك، وكان أقل الواجب لك أن يدعك وما كنت عليه فتكون الأمر والنهي ويشغل إن شاء بشغل نفسه^(١)..

إلى أن أثر فيه فشافه المهدي ببعضه على أنه نصيحة قائلاً: يا مولانا إن كتامة قوم قد قومتهم بتقويم وأجريتهم على ترتيب وتعليم وتم لي منهم بذلك ما أردت وبلغت بذلك منهم ما قصدت، وهذا الذي فعلته أنت بهم من إعطائهم الأموال وتوليتهم الأعمال وما أمرتهم به من اللباس والحلي فساد بهم للخروج من عادتهم فلو تركتهم كما كانوا إلى أن أباشروهم دونك، أمرهم وأنفاهم وأقيمهم على ما دعوتهم وأجريتهم على آدابي لهم وألي حروبك وأحكم الأمور دونك فيهم وفي غيرهم فتكون وادعاً في قصرك، لا يصل أحداً منهم ولا من غيرهم إليك ليكون ذلك أهيب لك وأشد لأمرك وأرجى لما ترجوه من تمامه وكما له انتظامه^(٢) فتفطن المهدي إلى نيته دون الإظهار، وكان أبو العباس محل تعظيم لدى الدعاة والمشايع فطعن لهم في الإمامة وذكرهم بتراجع المهدي عما وعدهم به من الأموال والمناصب حتى واجهه هارون بن يوسف شيخ المشايخ المهدي قائلاً: إنا قد شككنا في أمرك فاتنا بآية إن كنت المهدي كما قلت^(٣) فقتله وكان ذلك سبباً في تألب الكتاميين عليه واجتماعهم في دار أبي زاكي تمام بن معارك للفتك به ولكنهم فشلوا نتيجة سعاية غزوية بن يوسف^(٤) وعمل المهدي على تفريق جمعهم فأرسل أبا زاكي إلى طرابلس وكان عمه أبو يوسف ماكنون بن ضبارة عاملاً عليها، فلما وصل إليه كتب إليه بقتله فقتله، وقتل ابن القلسم وآخرين بقرادة وقتل حبر بن تماش أبا العباس واغتال غزوية بن يوسف أبا عبد الله وكل ذلك في منتصف جمادى الآخرة سنة ٢٩٨ هـ^(٥) ويشير ابن الأثير إلى

(١) افتتاح: ص ٢٥٩ - ٢٦٠. الكامل: ج ٦ ص ١٣٤. الحلل: ج ١ ق ٤ ص ٨٩٥ - ٨٩٦.

(٢) افتتاح: ص ٢٦٠. الكامل: ج ٦ ص ١٣٤، الحلل ج ١ ق ٤ ص ٨٩٦.

(٣) افتتاح: ص ٢٦٠ - ٢٦٢. الكامل: ج ٦ ص ١٣٤، البيان: ج ١ ص ١٦١. الحلل ج ١ ق ٤ ص ٨٩٦.

(٤) افتتاح: ص ٢٦٣ - ٢٦٤. الكامل: ج ٦ ص ١٣٤، البيان: ج ١ ص ١٦٢.

(٥) افتتاح: ص ٢٦٥ - ٢٦٩. يقول القاضي النعمان ص ٢٦٩: وأما أبو العباس فيناظر بالباطل وعمه ويكابر وذلك في نظره من أسباب اغتياله الكامل: ج ٦ ص ١٣٤ - ١٣٥. في البيان: ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٤ - حديث عن دور أبي زاكي في هزيمة قبائل زناتة وهوارة ولماة النائرة بطرابلس قبل قتله. الحلل ج ١ ص ٨٩٦. المؤنس: ص ٥٦. وفيات ابن خلكان: ط القاهرة. ١٩٤٧ - ١٩٥٠ ج ١ ص ٤٤٤. الانحاف: ج ١ ص ١٢٢.

الفتنة التي قامت في القيروان بسبب مقتل الداعي وأخيه لكن المهدي استطاع القضاء عليها وبذلك استتبت أمور افريقيا له وحده^(١).

تتمة إحالات:

Laoust le roie d ali dans ia sira chi ite Revue des (٤)
etudes islamiques (R.E.I) 1962. N. I. P 7- 26.

وانظر المازندارني: مناقب آل طالب. النجف ١٣٧٦هـ.

(٥) انظر أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين. القاهرة ١٣٦٥هـ.

(٥ أ) يوليوس فلهوزن: الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي ط ٢ الكويت ١٩٧٦.

فلهوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهر الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة عبد الرحمن بدوي: القاهرة ١٩٥٨.

علي حسني الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي: القاهرة ١٩٥٩.

(٥ ب) راجع: عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق. القاهرة ١٣٢٨هـ.

ابن قتيبة: الإمامة والسياسة. القاهرة ١٣٢٥هـ.

النظم الإسلامية: مسألة الإمامة ص ٨٤ - ٨٧ الشيعة ص ٩٥ - ١٢٩، الخوارج ص ١٣٠ - ١٣٣.

E.I. hawarij. TII .P 957- 961 (L.D. viida)

(١٧ أ) يرى عبد الرحمن بدوي أن قيمة هذا المبدأ في أنه لا معقول إذ يستمد به الإمام حقه من السلطة من الله تعالى وهذا لا يكون إلا في آل علي لذلك حصروا الإمامة فيه لتبقى وراثية محمية من التنافس (فلهوزن: الخوارج والشيعة مقدمة المترجم ص ١٥).

E.I 2 : ismailyya (W Madelung) (١٩ أ)

E.I.I : Zayd Ben Ali . T IV P 1260 (Strothman) (٢١)

E.I.I : ZaydIyya . T IV P 1264- 1266 (Strothman)

(٢٧ أ) أمثال: فان فلوتن: السيادة العربية والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة

حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم. القاهرة ١٩٣٣ يرى فلهوزن أن السبئية نسبة إلى عبد الله بن سبأ -ترجع إلى اليهود (الخوارج والشيعة: ص ١٧٠ - ١٧١).

E.I Mahdi . I III P. 116- 120. (٣٧)

(٥٧) راجع: أحمد عارف الزين: مختصر تاريخ الشيعة، صيدا ١٩١٤.